[46] وغيظا وحنقا عليهم ثم ركب حتى دخل الشام فذلت له صعابهم، وخضعت لديه رقابهم وانقاد له كبيرهم وصغيرهم، فلما دخلوا عليه وعاينوا منه سوء الخلق، وظهر لهم منه امارة العداوة والبغضاء، أرادوا أن يتقربوا إليه بما يزيل ذلك عنهم فتقدم رئيسهم فقال: يا أمير نريد أن نزوجك إبنة فلان، وهي ابنة حاوية للحسن والجمال، والعقل والكمال وهي لا تليق إلا بك. فقبلها منهم بعدما بالغوا في حسنها وجمالها، ثم أمرهم ان يأخذوها الى الحمام، وامرهم أن يزينوا الاسواق ويأخذوا باللهو واللعب والطرب، وأن يحضروا أسباب العرس، فأخذوها الى الحمام وأسباب العرس خلفها، فدعا الملك بخادمه وقال له: خذ ناقة مهزولة غير موطئة ولا مرحولة، وامض بها الى باب الحمام فإذا خرجت البنت فأركبها على الناقة ودر بها في الشوارع والمشارع، ولا تدع أحدا يستر وجهها من النظار فامتثل الخادم أمره ومضى بالناقة الى الحمام ووقف بالباب في جمع من رؤسائهم وهم لا يشعرون بذلك فلما نظروا الى الخادم والناقة في يده قالوا: ما تريد أن تصنع بهذه الناقة ؟ فأخبرهم بما أمره الملك به وأنه فاعل ذلك، فلما سمعوا كلامه شق عليهم ذلك واستعظموا ذلك الفعل الشنيع، فجعلوا ينظرون بعضهم الى بعض، ثم رجعوا الى الملك فقالوا: أصلح ا الامير ما الذي يريد أن يصنع خادمك ؟ وما ندري أنه يكذب عليه ام يصدق ؟ ولا ينبغي لمثلك ان يكذب عليك. فقال: ويلكم وما الذي يزعمه خادمي ؟ قالوا: كذا وكذا قال: أمرته بذلك قالوا: كيف تأمره بمثل ذلك وهذا أمر لا يرضي ا ورسوله ولا كان في الجاهلية ولا أحد فاعل مثل هذا الفعل ؟ ثم أعولوا بالضجيج بين يديه. فقال: ويلكم يا أهل الشام إن هذا العمل غير قبيح لديكم، وإنما هو عادتكم وسجيتكم، وقد فعلتم ما فعلتم قبل هذا بعترة نبيكم. فقالوا: يا أمير هذه البنت من أشرف أهل الشام حسبا ونسبا، وأعلاهم مرتبة وأعفهم ذيلا، وإنما هي ابنة ملكنا. فلما انتهى كلامهم الى هنا شق أمير تيمور جيبه وبكى حتى غشي عليه، فلما أفاق من الغشوة قال: يا ويلكم يا أتباع يزيد وأولاد اتباعه، اعلموني واخبروني أي ملك أكرم من رسول ا ؟ وأية بنت أعف من بنات أمير المؤمنين ؟ وهي في شوارعكم واسواقكم، وانتم ونساؤكم خرجتم تتفرجون عليهن وانتم تعلمون أنهن بنات رسول ا نبيكم، ويلكم اخبروني أما كان الحسين حجة ا وابن حجته وقد رأيتم عياله سبايا على النياق من بلد الى بلد ؟: فمن بلدة تهدى الى شر بلدة * ومن ظالم تهدى الى شر ظالم